

القسم الثاني

مبادئ وملامح وفنون الإرشاد والعلاج الزوجي

أولاً : مبادئ الإرشاد والعلاج الزوجي

ويمكن تبيان أربعة مبادئ في النظر إلى الصراعات بين الأزواج وهي :

١ - دوافع الناس للزواج وتكونن أسرة ليست كلها شعورية، بل يمكن وراء الاختيار الشعوري شبكة من الحاجات والرغبات والتحليلات، وينبغي أن يعرف الزوجان هذه الشبكة وأن تتضح في شعورهما.

٢ - في العلاقات الزوجية هناك تبادلية وجاذبية في الحاجات والاشواق والمخاوف التي تكون فعالة في الحياة الزوجية المشتركة، وهناك انفاق وتفاعل بين العوامل اللاشعورية في العلاقة الزوجية.

٣ - كثير من آثار المخاوف والمصراعات اللاشعورية الموجودة في العلاقة الزوجية مشتقة من علاقات الطفولة المبكرة، فالماضي هام جدًا في المدخل التحليلي والناهض السيكوديناميكية عموماً، وله تأثيره القوى على العلاقات الحاضرة، ومشاعر الإنسان وأفكاره لا تحدث عشوائياً ولكن لها جذورها وأصولها في تاريخ وخبرات الفرد، فالماضي جزء من الحاضر في هذا المدخل.

وقد قلنا من قبل أن عمل المرشد النفسي مع الأسرة ، والزوجان فيها على وجه الخصوص يساعدهما في أن يتعرضا على الأفكار والمشاعر اللاشعورية لديهما، والتي يميلان إلى إسقاطها على الآخرين، وتكون مهمته أن يصر الزوجين بهذه الأفكار وتلك المشاعر، لأن فهم هذه المشاعر وتحليلها أساس التخلص من تأثيراتها السلبية.

فهذا زوج جاء إلى المعالج بطلب المساعدة، ويشكو من أن دافع الحس لديه محدود، وقد كشفت التأثيرات التحليلية معه أن عدم اهتمامه بزوجته وضعف ميوله الجنسية إزاءها كان استجابة لعدوانها الانفعالي عليه، حتى وصف المعالج هذا الموقف بأن الزوجة قد «اختطف» زوجها أو جرده من رجولته. أن النقص العام لديه في الحيوية كان استجابة أيضاً في جزء منه لنشاطها الدائم والذى وجد من الصعب عليه أن يجرئه أو يتعامل معه، وفي هذه العلاقة الخاصة فإن الزوج حمل السلبية (التي أسقطتها عليه زوجته) بينما حملت الزوجة السيطرة والشطاط والقوة (التي أسقطها زوجها عليها). وهناك بعد آخر في هذه العلاقة التبادلية وهو مشاعر الغضب والحزن اللذان صبغا

مشاعرها، فقد حملت الزوجة الغضب (الذى أسقطه زوجها عليها) بينما حمل هو الحزن (الذى أسقطته زوجه عليه). لقد كان لكل منها ظروف خاصة، فقد تأثرت الزوجة كثيراً بموت زوجها السابق ، ولم تحاول أن تخابه عملية الحداد، بينما تأثر هو بنشسته التي تضمنت قليراً غير قليل من الحزن العاطفى . لقد ساعد المعالج الزوج فى أن يرى المشكلة ليست كمشكلة خاصة به وحده، وإنما هي مشكلة الزوجين معاً وأن السبيل إلى حل صراعات علاقتها هو فى أن كل منهما عليه أن يلمس أو يتعرف وبعترف بهذه الأفكار والمشاعر التي كباها بشكل منظم كنتيجة للخبرات الماضية (Murgatroyed & Woolfe, 1985 , 81).

وإذا ما وقف الزوجان على طبيعة دوافعهما ومشاعرها فإن الاستئصال سيؤدي إلى تحقيق درجة طيبة من التوازن في الأسرة، ولكن المطلوب أن يكون التوازن سوياً وليس توازنًا مرضياً يقى على الانحراف داخل النسق الأسرى.

التوازن الأسرى :

وهناك نقطة هامة في التوازن الأسرى في الأسر التي تتعرض للتغير في علاقات أفرادها في ظل العلاج، حيث تبدو الأسرة وكأنها لها «أنا» حريص على الإبقاء على توازن الأسرة حتى في ظل العلاقات غير الصحيحة بين أفرادها ، فعندما يتغير أحد أفراد الأسرة بشكل واضح فإن على أعضاء الأسرة الآخرين أن يتغيروا حتى يعيدوا التوازن الذي اختل بتغير عضو الأسرة الذي عولج.

ويذكر المعالجون أن كثيراً من هذه الأسر تبحث عن التوازن ليس بإحداث التغير المطلوب ولكن بمحاولة العودة إلى الوضع الذي كان قبل العلاج ولو بأساليب جديدة، كهذه الأسرة طرحت فيها الزوجة مشاعر الغضب التي كانت تشعر بها نحو والدتها تجاه زوجها، وكانت قناعاتها أن زوجها سىء التصرف، وأنه ينبغي أن يعرف ذلك، وأن عليه أن تعاقبه باستمرار على سوء تصرفه، وأن تعبّر عن غضبها بأسلوب شديد حتى كانت أنها ترمي الأشياء في وجهه . وبعد فترة من انحراف الأسرة في العلاج تبين للزوجة أن مشاعر الغضب عندها كانت موجهة أصلاً إلى والدتها وليس إلى زوجها، وعندما استبصرت بذلك كفت عن المعاملة الفظة التي كانت تعامل بها زوجها، بل تغيرت مشاعرها نحوه وبدأت تعامله بطف وآمنجت أكثر تقبلاً وتدعيمًا له، ولكن الزوج إزاء هذه المشاعر الجديدة من الزوجة عبر عن عدم رضاته على هذا التطور. وبذلك على نحو أكثر عدوانية نحوها حتى يشير غضبها، وظهر أنه يعمد إلى ذلك رغم أن معاملة الزوجة السيئة له كانت جزءاً من شكله في البداية. وعندما رفضت الزوجة

الاخراج معه ومسايرته بعد استحضارها فإنه أتجه بهذه الإثارة إلى ولديه . وقد أعاد هذا السلوك من جانب الزوج بعضًا من جو الأسرة الذي كان سائداً قبل العلاج . ومهمة المعالج إزاء مثل هذا الموقف أن يستمر في عملية شرح الديناميات الأسرية لكل الأطراف ، وأن يتحول - في حال هذه الأسرة - إلى الزوج ليحلل مشاعره ويساعده في أن يستحضر بذوقه حتى يقوم التوازن في الأسرة على أساس علاقات صحيحة وسليمة . (Murgatroyd & Woolfe , 1989 , 83 - 84) .

ثانياً: ملامح الإرشاد والعلاج الرواجي :

ويخلص كل من «جيمس» و «ولسون» خصائص ملامح الإرشاد والعلاج الرواجي في النطاق الآتي :

- ١ - المشكلات الرواجية لا تنشأ أو لا تتعلق بأحد الزوجين أو الآخر ولكنها تنشأ نتيجة لاشتراك الاثنين معاً، فهي أقرب إلى أن تكون اتفاقاً لا شعورياً بينهما . ومن هنا فإن الصعوبة أو المشكلة عادة ما تكون أمراً مشتركاً . على سبيل المثال إذا كان هناك أحد الطرفين يصارع مشاعر البرود الجنسي فإنه من المحتتم أن لا تكون هذه المشكلة تخص أحدهما بل هي مشكلة الطرفين معاً ، وربما على نفس المستوى .
- ٢ - الميكانيزمات الدفاعية التي تستخدم للحفاظ على هذا الاشتراك أو الاتفاق اللاشعورى بين الزوجين المولد للمشكلة تتمثل أساساً في ميكانيزمات الإنكار والإستعطاف والتوجه الإسقاطي .
- ٣ - عندما يسقط أحد الزوجين مشاعره على شريكه (الزوج / الزوجة) فإن شخصية هذا الشريك تقدم شيئاً أو أساساً في الواقع يشجع حدوث مثل هذا الإسقاط، فإن الشريك لا يتحمل أن يقبل الإسقاطات ما لم تكن هذه الإسقاطات مناسبة له على نحو ما... . وقبول هذه الإسقاطات يسمى امتصاصاً Introjection .
- ٤ - المساعدة من خلال التحاليل التحليلية النفسية تتضمن أن يجعل المعالج كل زوج قادرًا على أن يعمل من خلال هذه التشويهات (مثل تلك التي تنتجه عن الإسقاط والطرح والكتب الزائد) والتي أفسدت علاقة مع زوجه وخلقت التوترات في جنباتها .
- ٥ - أن هذه الجهد صعبة ومعقدة وتطلب وقتاً . وتوافق الدفع والأصلة والعلقة التعاطفية بين المعالج ومريضه أمر أساسى لنجاح العلاج .
- ٦ - لكن يصل المعالج إلى نتائج طيبة في عمله عليه أن يكون فعالاً وأن يوظف

مهاراته وفكرة واستبشاراته في كشف دور الماضي في طبع الحاضر، ويساعد الزوجين على أن يواجهوا الشوه الذي خلقه التوتر.

٧ - يمكن أن يحدث التصنيف أو القسمة Splitting بين الشريكين والعالم الخارجي، وعندما تصلط العادات بالصيغة المثالية فإنه يصبح غير جائز التعبير عن الصراع، ويصبح العالم الخارجي «سيئاً» أو العكس حيث يسمح المشاعر السلبية أن تظهر فقط ويغير عنها بين الثنائي بينما تسقط المشاعر الإيجابية والطيبة على الآخرين.

٨ - تنشأ الصعوبات من ذلك النوع من التصنيف أو التقسيم الذي يأخذ صوراً مختلفة ولكن أصوله تعود إلى عدم الارتباط الذي يتبع عن الضلال المستمر ضد الشاعر التي تم انكارها. ومن هنا فإن الزوج قد يتعامل مع فلقة وتنافض مشاعره حول السيطرة وذلك بوضع زوجته في وضعسيطر ويهتفظ لنفسه بحالة من التنمر التي لا قيمة لها ولا تأثير، بينما تقبل الزوجة بدور الراعية القادرة مع إنكار مشاعرها الشخصية بالاعتمادية. وعدم اكتمال الدور وخروجه إلى حيز التنفيذ يؤدي إلى حال مستمرة من الفلق والإحباط.

٩ - ميكانيزمات الخل أو العلاج التي يتم تبيتها هي التعرف Recognition ثم الاكتئاب الذي يليه التكامل (Jamis, A & Wilson, K., 1986, 65-66).

ثالثاً : فنون الإرشاد والعلاج الزواجي :

ويمكن أن تستخدم كل الفنون التي اعتمدتها العلماء والممارسوون في الإرشاد والعلاج الأسري في الإرشاد والعلاج الزواجي مع مراعاة متضمن الموقف، وقد قلنا أن التضرر الذي يحدث في النسق الأسري هو أساساً تضرر في النسق الزواجي قبل أن تكتمل الأسرة بوصول الأبناء. فعلى المرشد أو المعالج أن يستخدم مع الوالدين كل ما يمكن أن يستخدمه من جمبة الإرشادية والعلاجية حسب توجهه المهني، ولكن هناك فنية قد تختص - أكثر من غيرها - بالإرشاد والعلاج الزواجي لأنها ترتبط بالوالدين أو الزوجين على نحو أدق. وهي فننة عقد الاتفاق ولم نشر إليها فيما سبق من الفنون والأساليب، ولذا نشير إليها في إيجاز كما يلى:

عقد الاتفاق Contingency Contracting

عقد الاتفاق من الفنون السلوكية التي تستخدم كثيراً في العلاج الأسري، بل يستخدمها الآن معالجون لا يعتبرون أنفسهم تحت لواء السلوكية، وذلك عندما وجدوا أن

لهذه الفنية فاعلية خاصة، وتقوم فبة الاتفاق بين الزوجين عادة في الأسرة التي تعانى الصراع والتوتر على أساس أن يحترم كل طرف حق الآخر في التصرف، بل وفي أن يجد التقليل أيضًا. وتسجل بنود الاتفاق بين الزوجين تحريرياً، وعلى أن يتلزم كل زوج بالبند الأول بما التزم به في العقد مقابل أن يتلزم الطرف الآخر أيضًا بالبند المقابل في التزاماته في العقد. وعندما يجد كل طرف أن الطرف الآخر يتلزم بما جاء في العقد فإنه يطيب نفساً ويقبل على الالتزام بالبند الثاني وهكذا، وتقدم تدعيّمات مناسبة عند الالتزام، وهكذا يسير التفاعل بين الزوجين على نحو أكثر سوءاً ونضجاً.

وسنعرض هنا باختصار حالة زوجين عرضها «ميرجاترويد وولف» Murgatroyed & Woolfe وهي زوجة في الثلاثين من عمرها تزوجت من رجل يقرها في العمر ولها ثلاثة أولاد، وقد طلبت المساعدة مما وصفته باكتشاف وعدم انسجام أسرى. وقد وصف المعالج ومساعدوه مظاهرها بأنه يعبر عن عمر يزيد عن عمرها الحقيقي بما لا يقل عن عشر سنوات، ويندو عليها الانهاك والإجهاد وشحوب الوجه. وقد أوضح تقرير الأخصائى الاجتماعى أن اكتشاف الزوجة يتضمن فقدان الكامل للاهتمام بأى شيء، فهى تبقى فى السرير لفترات طويلة، وهى غير قادرة على أن توافق مع الواجبات المنزلية ورعاية أولادها الثلاثة. وقد قرر الأخصائى الاجتماعى أن الزوجة تشعر بأنها «الاشـ» وأن زوجها «لا يشعر بها ولا يدري نسوها أية عائلة».

وكانت المرحلة الأولى من العلاج تصب على الزوجة (الزوج والأولاد ليسوا متضمين بشكل مباشر في العملية) وتتضمن العملية تحليلاً سلوكيًّا بهدف الوقف على المشكلات السلوكية التي تعانى منها، وكيف نشأت هذه المشكلات من متظور تاريخ أهاب تدعيم الشير والاستجابة، وكيف انتهت إلى وضعها الحالى. و كنتيجة للمرحلة الأولى من العمل والتي استمرت أسبوعين حدد العلاج مع مساعديه خمس مشكلات سلوكية معينة واقتربوا على الزوجين أهداف العلاج التي عليهم أن يسعوا لتحقيقها. وفي الجدول رقم ١٠ / ١ المشكلات والأهداف، ويندو منه أيضًا نتائج التحليل السلوكي.

المشكلات والأهداف الناتجة عن التحليل السلوكي لوقف الزوجة

الأهداف	المشكلات
السلوك الذي ينبغي أن يقوى - التنظيف - غسل الملابس - فرش الأسرة - شراء اللوازم - طبخ الوجبات - عمل حلوي للأطفال. - تصفيف الشعر - الملابس البهجة - كى الملابس - تبادل الحديث مع الزوج لمدة ١٥ دقيقة. - القراءة للأطفال في المساء.	عيوب (أوجه النقص) - فشل في أداء الواجبات المنزلية وفي رعاية الأطفال. - الملبس الزئري (المظهر غير المناسب). الحديث غير المskرر (النادر) مع الزوج والأطفال.
سلوك ينبع من قلق وضعف - التعبير النفطي عن الشعور بالمرض وعدم الاستحقاق وأن تكون شيئاً. - قضاء الوقت في الفراش بالنهار وقبل الساعة الحادية عشر ليلاً.	إضافات - شكوى حول قلة الخبرة وعدم الاستحقاق والقيمة. - الخلود إلى الفراش.

Murgatroyed & Woolfe , 1985, 102

وما أن يوافق الزوجان على أن هذه القائمة تعبر عن الملامح السلوكية لمشكلتهما فإن المعالج يساعد الزوجين في إجراء مفاوضات حول عقد اتفاق. كما يمكن أن يرى من عقد الاتفاق - المبين ملخصه في الجدول رقم ١٠ - أن سلوك الزوجة متوقف على سلوك الزوج، ومعتمد عليه، كذلك فإن سلوك الزوج يعتمد على سلوك الزوجة. ويلاحظ أن العقد له طبيعة نوعية ، وخاصة بالحالة التي صمم من أجلها.

جدول ٢ / ١٠

عقد اتفاق أولى بين زوجين

مستويات الزوج	مستويات الزوجة
عقد (١)	عقد (١)
<ul style="list-style-type: none"> - الاستيقاظ من النوم والنهوض من الفراش عند الإفطار طوال أيام العمل، وفي العاشرة صباحاً في أجازة نهاية الأسبوع. - الاشتراك مع الزوجة في نشاط متبادل بين ١١،١٠ مساءً لمدة أربع أيام في الأسبوع. 	<ul style="list-style-type: none"> - الجلوس والحديث مع الزوج خلال الأسبوع. - تنظيف حجرة المعيشة لمدة ساعتين كل أسبوع.
عقد (٢)	عقد (٢)
<ul style="list-style-type: none"> - الوصول للمotel الساعة ٣٥،٣٠ م كل يوم. - تحب التعبير عن الكراهية (البرود - الرفض - الضاحقة - الصمت - الإنهاك) عندما تطلب الزوجة عدم الملاحة الجنسية. 	<ul style="list-style-type: none"> - نفس البنود السابقة بالإضافة إلى ليس ملابس تروق في عيني الزوج. - بهذه التعبير عن العاطفة (قبل - أحضان - ملك الأيدي - مداعبة للزوج).

Murgatroyed & Woolfe , 1985, 102

وعند موافقة الزوجين على هذا العقد فإن التعليمات الموجهة إليهما تكون بأنه إذا قام أحد الزوجين بدوره طبقاً للبند الأول مثلاً فإن الزوج الآخر أن يقر له بذلك في إقرار مكتوب، ويكون للإقرار المكتوب قيمة رمزية تدل على أن أحد الزوجين يقر بأن الآخر يلتزم بما تعهد به ويسير خطوة في اتجاه الحياة الزوجية المتواقة، وأن عليه هو ضمئياً أن يخطو الخطوة المقابلة ، خاصة تلك التي تخص مهارات العاطفة والاهتمام.

Murgatroyed & Woolfe , 1985, 102

وفنية عقد الاتفاق مفيدة في الحالات التي يبدأ فيها عضو الأسرة عملاً معيناً ثم يجده مثيراً للقلق. كما أن هذه الفنية تحدد لكل زوج موقعه في الأسرة ومن حيث علاقته بزوجه ونتائج سلوكه على هذه العلاقة.

ولكى يكون عقد الاتفاق ناجحاً فى تخفيف التوتر وإزالة الصراع بين الزوجين يجب أن يتواافق فيه :

- الوصف التفصيلي والواضح للسلوك المطلوب أداوه من كل فرد، وأن يحدد زمن لأداء الأعمال، ففى المثال السابق الذى ذكرناه طلب من الزوج أن يشارك فى الشطة متباولة لمدة محددة، كما طلب من الزوجة أن تغسل المنزل لفترة محددة كل أسبوع.

- يجب أن يحدد العقد طبيعة التدريم ، وفي مثالنا السابق أيضاً كانت الزوجة عندما تؤدى عملاً تحصل على إقرار مكتوب من الزوج، أو أن يبادلها بالسلوك المقابل من جانبه.

- يجب أن توضع شروط أو بنود في الاتفاق لبعض النتائج المعاكسة إذا لم تنفذ بنود العقد، كما يجب أن يتضمن العقد فقرة أو بنداً ينص على منع مكافأة إضافية كتدريم إضافي للطرف الذى يظهر روح الالتزام الكاملة عند التنفيذ.

- يجب الاستفادة من عملية التدريم الفوري بمعنى أن يتبع التدريم السلوك المطلوب بأسرع ما يمكن.